# كيف نحكم على الاشياء ؟ !

فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى

حدثنى أحد أصدقائى قال : لى شقيقة ريفية تصغرنى بسنوات ، وقد تزوجت منذ أمد بعيد ، وتطلعت عينها إلى الذرية العزيزة الغالية ، وخاصة فى الريف فلم يكتب لها الله العليم الحكيم شيئاً منها ، وعلى الرغم من أن جميع صويحباتها قد رزقن الذرية الكثيرة أو القليلة من البنين والبنات ، بقيت هى تنتظر بلا نتيجة ، وتنطوى نفسها على هم دفين وألم عميق ، وإن كانت تتظاهر بأن مسألة الذرية هذه لا تمر لها على بال !.

وبالأمس القريب كان بيدى عدد من مجلة شهرية مصرية ، أصدرته إدارتها خاصاً بالربيع ، وحلت صدره بصورة فتاة جميلة باهرة الجمال ، تجوس خلال روضة حافلة بالأزهار والرياحين ، وحلت الصفحة الأخيرة منه بصورة جميلة لصبى فى نحو الثالثة من عمره ، فما رأيت أنا صورة الفتاة بجمالها وروعتها ، حتى أدركنى الحنين إلى نصفى الآخر ، فهتفت من الأعماق : ما أجمل هذه الصورة ؟ ! . وكانت شقيقتى حينئذ تحد النظر إلى صفحة الغلاف الأخرى ، إلى صورة الطفل الوسيم ، فما سمعتنى أقول هذا حتى هتفت كأنها تعارضنى : بل هذه الصورة أجمل منها ! ! ..

وهكذا أدركنى شوقى إلى الأليفة المرموقة فسيطر على تقديرى فكان أن حكمت بأن صورة « الفتاة » أجمل صورة ، وسيطر على أختى حنينها إلى الذرية فجعلها تحكم بأن « الصبى » أجمل صورة فى الحياة ! .

كذلك أحكامنا فى الغالب على ما يصادفنا من مسائل ومظاهر وحوادث فى هذا الكون العريض الوسيع ، لا ننظر إلى المسألة إلا من ناحية هوانا وغرضنا وحاجتنا . ومن هنا جاء اختلاف الناس الظاهر فى أحكامهم على الأمور ، نتيجة لاختلافهم البين فى الرغبات والمشارب ، والأهواء والمطالب . ومثل هذه الحادثة التى قدمتها فى صدر هذه الكلمة يجب أن تهدينا وتنير لنا السبيل حتى تجنبنا الأخطاء فى الأحكام التى نصدرها من حين إلى حين على الأشخاص أو المبادىء أو الآراء ! ! .

من الواجب على الإنسان إذا أراد أن يحكم على أمر من الأمور ، أو مسألة من المسائل ، أن يتأنى ويتريث ، فلا يعجل ويسارع بالحكم عليها ، بل يطيل التأمل فيها ، ودراستها من شتى نواحيها ، والنظر إلى جهاتها المختلفة ، لأن هذه الدراسة تفتق ذهن الإنسان وتوسع معارفه من جهة ، وتجعل حكمه أقرب إلى الدقة والصواب من جهة أخرى .

ويجب على الإنسان حينما يصدر حكما من الأحكام فى موضوع من الموضوعات ، وخاصة إذا كان الموضوع خطيراً جليلا متشعب النواحى والأطراف ، أن لا يصدره فى لهجة المطمئن الواثق ، أو فى عبارة المتحدى ، أو فى أسلوب الجزم واليقين الذى لا يقبل التعديل أو التبديل . بل الأحسن والأجدر به والأضمن له أن يصدر حكمه فى عبارة تفيد الظن والترجيح ، أو التفضيل والتقديم ، وفى اللغة من أمثال هذه العبارات والألفاظ مالو استعمله الإنسان لجنبه الكثير من العثرات ، ولم يضير الإنسان فى الغد من هذا الحكم شىء ، لأن الأيام إذا أثبتت رأيه وأكدت ظنه كانت أشبه بمن يزكى تفكيره وتأويله ، وإذا جد فى الموضوع ما يخالف نظريته وفكرته ، لم يلق من اللوم والعتاب شيئاً ذا بال فقد احتاط لنفسه ، وأخذ الحذر !

كذلك من الواجب على الإنسان أن يقتصد فى تخطئة غيره من الناس ، فقد يكون لهم وجهات نظر أخرى ، وقد يكونون على علم لم يصل إليك ، أو لم تقف عليه ، فلتقبل أحكام غيرك برزانة وتدبر ، لا تسارع بالرفض والإعراض ، كما لا تسارع بالقبول والتسليم ، بل تنظر وتقدر ، وتتعقل وتتبصر ، فالعقل الإنسانى مهما قيل فى قدرته محدودة قاصر ، وخطوات التعليم فى الحياة تفسح له الطريق .

**أحمد الشرباصى**
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى